

عون: الحرب... ستجلب الديمقراطية أعود إلى بيروت إذا

رحلت المافيا

فارس خشان - السفير ٢٠٠٣/٢/٩

بداية، كيف نقرأ وضعية العالم اليوم، في ضوء الاستعدادات الأميركية لشن حرب على العراق، والانقسام الحاصل في مجلس الأمن الدولي؟

إذا أدى الصراع في مجلس الأمن الى تفرد الإدارة الأميركية في شن الحرب، فسيؤدي هذا الى نسف منظمة الأمم المتحدة، وإنشاء أخرى على انقاضها، ولكن بشروط جديدة، تماما كما اطاحت الحرب العالمية الثانية بعصبة الأمم ونشأت هيئة الأمم المتحدة على انقاضها.

وأرى انه في حال حصول ذلك، فالهيكلية الجديدة ستكون مختلفة جذريا، فروسيا ليست الاتحاد السوفياتي، وانكلترا وفرنسا والمانيا لم تعد قوى مؤثرة، فيما الصين لا تزال قوية، ولكن بشكل لا يمكن قياسه مع واقع الولايات المتحدة الأميركية. فالصين لديها خمسمئة رأس نووي مقابل عشرة آلاف لدى أميركا، وهي قوة دفاعية مهمة ولكنها ليست قوة تدخل، خارج محيطها المباشر، وهذا يعني تعديلا في موازين القوى عسكريا واقتصاديا. وما نراه اليوم قبل الحرب، لن يكون هو نفسه بعد الحرب. ان كل ما أثار انزعاج الولايات المتحدة الأميركية، بين الحرب العالمية الثانية واليوم، سيتم تعديله لمصلحتها، ولن ترضى واشنطن بأن تتساوى مع الدول الأخرى.

وهنا تحضرنى سألقة، ففي احدى الدول الفقيرة، جلس مواطنان يتحدثان عما يمكن ان يفعلاه للخروج من هذه الحالة، فاقترح واحدهما ان يعلن الحرب على الولايات المتحدة الأميركية، حتى إذا ما احتلت بلدهما اضطرت للاهتمام بهما وبشعبهما، فرد عليه الثاني سائلا عما سوف يحصل إذا غلبت بلاده أميركا، ومن أين ستأتي لها بالطعام.

ولكن ماذا سيحصل في الشرق الأوسط، في حال اصيبت <<أوروبا القديمة>> بنكسة في موقعها؟ لقد تم تفصيل الشرق الأوسط في ظل أوروبا القديمة، بعد الحرب العالمية الأولى، واستمرت الحال على ما هي عليه، بعد الحرب العالمية الثانية، على أساس استمرار مفاعيل هذه القوى، في ضوء الحرب الباردة. حاليا أوروبا غير موجودة، لا في الشرق الأوسط ولا في أفريقيا، ولم يعد لديها الثقل الاقتصادي والعسكري، فيما التأثير الأميركي أخذ بالحلول مكان أوروبا، فأمركا دخلت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، الى كل العالم، وفُقد التوازن الذي كان موجودا في السابق.

نحن لا نعرف كل الحثيات المرتقبة، لإحداث التغيير، ولكن كل منا، بحسب معرفته بالاستراتيجية، يستطيع ان يطلق تقديرات. الثابت ان قناعات أميركا، في ما يختص بالشرق الأوسط، مختلفة عن قناعات أوروبا.

أليست المسألة مسألة سيطرة على موارد النفط؟

القصة ليست فقط قصة نفط. الأميركيون يضعون حاليا حصصا للإنتاج، ويمنعون الدول من تخطيها، حتى تبقى الأسعار ضمن السقف المحدد لها. إذا، اعتبار المشكلة مشكلة نفط فقط، هو تحجيم لها. ماذا إذا؟

القضية قضية أنظمة وقضية احترام لشرعة حقوق الإنسان التي قتلتها هذه الأنظمة. لقد تعاطى الغرب، بطريقة غير عادلة، مع سائر الدول العربية، في حين قابل العرب ذلك بالانغلاق، فنشأت الأصوليات. وهذا الواقع لا يمكن ان يتغير إلا بصدمة كبيرة، وأملنا ألا تكون الحرب هي الصدمة المطلوبة. بالأمس، وجدنا ولي العهد السعودي الأمير عبد الله جالساً مع المعارضة السعودية. هذه خطوة، ولكن هناك دول لا تزال في الحقة الستالينية، في حين ان العالم كله يتحدث عن نظام جديد. في اعتقادي ان الصراع وصل الى الطريق المسدود، وهو يستلزم حصول صدمة قوية لتغيير الاتجاهات. ما يقال من قبل شعوب المنطقة يتم أخذه في الاعتبار في الولايات المتحدة الأميركية. ولكن في المقابل، ماذا قدم العالم العربي حتى الساعة غير الرفض؟.

ان ما اكتشفناه في مخيم عين الحلوة عن غزوة اصولية، هو نتيجة طبيعية لرجعية خطيرة للغاية. هذا الشرح يجب ان يتطور، من خلال قوانين وضعية، ومن خلال الانفتاح على العالم. فالانطوائية والرجعية لا تساعدانه مطلقاً، بل هما، كما النهج الانتحاري، لا تنتجان سوى تحرير لـقدرات القوة التدميرية. فالرجعية تيرر كل ما يمكن ان يُطلق في وجهها.

نحن لا نجد في العالم العربي دولة واحدة تقول انها مع حرية المعتقد، وانها ضد التمييز بين المرأة والرجل. فهل من المعقول، في هذا الزمن، ان يُحرم من هو غير مسلم من حق العبادة في المملكة العربية السعودية، كما من حق التجنيس؟. هذا واقع مرفوض في العالم. فمن جهة نرى شورى في الإسلام ولكن في الممارسة هناك تفرد وتسلط، ومن جهة نرى ديموقراطية في الإسلام ولكن لا نرى سوى ديكتاتورية في العالم العربي.

نحن لن نغير شيئاً، ولكن هناك أشياء لا بد من ان تتغير من خلال الدين نفسه. فحرية المعتقد يجب ان تكون مضمونة للمسلم ضمن المسلمين، وللمسيحي ضمن المسيحيين.

هذه هي الأمور التي تشغل الرأي العام العالمي.

ولكن أليس في ذلك نظرة طوباوية للولايات المتحدة الأميركية؟

الديموقراطية سنأتي، لتكون بمثابة تعويض لقساوة الحرب وأضرارها. فالشعب الأميركي نفسه لا يقبل الاستعمار العسكري، لذلك فهم مضطرون لتطوير الأنظمة كي تتلاءم مع العصر. إذًا، الديموقراطية ليست طوباوية، بل تعويض حرب.

ولكن يقال ان الظلمية آتية؟

إذًا، سيبقى الوضع على ما هو عليه اليوم.

ماذا سيحل بالعالم العربي بعد الحرب؟

هل أنت أكيد من ان الحرب واقعة. أنا أرجو ألا تقع.

ولكن في حال حصلت، ماذا سيتغير في العالم العربي؟

لا بد من إعادة نظر بالأنظمة العربية. فهل هم قادرون على الخروج من <<الكرنتينا>> التي ادخلوا أنفسهم فيها. ما أعتقد ان هذه الأنظمة غير الديموقراطية لن تكون مقبولة.

إذًا، أنت تعتبر ان هذه الأنظمة ستكون أمام خطر التغيير؟

أنا أعتبر ان هذه الأنظمة انتهت، وهي موجودة الآن بحكم الاستمرار.

هل تعتقد ان هناك إعادة نظر في الخارطة؟

هناك صراعات أساسية لا يزال اشتعالها ممكنا، وبالتالي إذا ما استفاقت، فهي التي ستحدد شكل الدول في المستقبل. يمكن ألا يتم المس بوحدة هذه البلاد، في حال توافرت الإرادة الدولية اللازمة، ولكن قد يصار الى تغيير شكلها، كأن تصبح فدرالية، مثل الولايات المتحدة الأميركية ومثل ألمانيا.

هل تجد ان الحرب على العراق يمكن ان تقود الى حل للقضية الفلسطينية؟
الحرب تفتح الأبواب على كل شيء، وأنا أعتقد ان أي حل في ظل أرييل شارون سيكون أقوى صمودا من أي حل مع غيره. أنا لا أعرف ماذا يخطط شارون مع الأميركيين. نحن الآن، نعيش في ظل إعلام حرب. وهناك كثير من التضليل.

وما هي معلوماتك؟

لا معلومات لدي أو لدى أي كان. هناك قدرة على الوصول الى معلومات مسرّبة تخدع أحيانا. فمن له تفكير نقدي يرى إذا كانت التسريبة تأتي ضمن الخط الدولي العام. الآن، نحن في مرحلة تغييرت فيها قواعد السياسة الأميركية. والجميع يخطئ بالتعاطي معها، بمن فيهم حلفاؤها. لقد تغير التعاطي الدبلوماسي، وهي اليوم أمام قرار لن يقبل به العالم. والمعلومات بشكل عام تفيد ان شيئا بعد الحرب، في حال حصلت، لن يبقى كما كان قبلها.

بعد الحرب، هل تعود الى لبنان؟

أكيد. لن أعود رئيسا للجمهورية أو رئيسا للحكومة، كما يقول البعض. الوضع سيغير ويسمح لي بالعودة. لولا وجود مافيا في بيروت لكنت قد عدت. الحرب قد تغير الأجواء في بيروت. ولكن، من يدري، قد يكون هناك جو <<مافياوي>> أكبر من الموجود حاليا.

وماذا عن المعادلة السورية في لبنان؟

قد تتغير سوريا نفسها، فلا توجد مظلة فوق رأس أحد. ولكن نحن لا يمكننا ان نعرف ما الذي تفعله سوريا، ففيها نظام ديكتاتوري لا يُصدر اشارات، لأن هكذا أنظمة تسقط من دون ان تُؤشر. ما أراه ان النظام السوري لم يعد ملائما للعصر، لقد عمّر طويلا جدا.

ولكن ألا تجد أنه نظام نموذجي لمحاربة الأصوليات؟

الرد على الأصولية لا يكون من نفس الطبيعة. فالأصولية هي ديكتاتورية ترفض الغير، وبالتالي فالديكتاتورية لا تحارب الأصولية، بل تولد الأصولية والأصولية تدفش في اتجاه الديكتاتورية. الرد يكون فقط بدولة القانون التي تحترم الحريات وتستند الى الديمقراطية.

مشكلتنا مع سوريا أن الإعلام الموالي لها يعتدي علينا، ورئيس الجمهورية يتهمنا بالسرقة ولا يفتح المحاكم. هذا ليس وضعي فقط، بل هو وضع مئات الأشخاص غيري، ممن يتم زجهم في السجون من دون سبب، وممن تقفل محطاتهم التلفزيونية. نحن وسوريا شعبان مختلطان بالدم، ولكننا نرفض نظامها ونرفض كل ما يقدمه لنا، ولو كان أجمل ما لديه.

ولكن سائر المعارضين لسوريا عقدوا هدنة معها، باستثناءك؟

هذا شيء يُضحكني، فهو لاء لم يحاربوها حتى يقولوا إنهم يهادنونها الآن.

ألا تتمنى أن تقع الحرب على العراق؟

أعوذ بالله. أنا أو من بالديموقراطية وحقوق الإنسان، ولا أو من بالحرب. في الولايات المتحدة الأميركية سألوني عما إذا كنت أويد الحرب على العراق، طبعاً كانوا يتمنون أن يكون جوابي مؤيذاً، ولكن لم أفعل،

تمنيت أن ينفذ العراق قرارات الأمم المتحدة على كل المستويات، وأنا حاليا أود أن تسير الأمور في هذا الاتجاه.

ولكن عدم وقوع الحرب لا يحدث التغيير؟

بلا، إنه يحدث التغيير. فهناك حاجز نفسي لا يمكنك أن تكسره إلا بتطور في العلاقات القائمة حاليا. فأنت تحتاج الى حصول تطور ما في العلاقة بين المسيحية والإسلام، كما حصل بين المسيحية واليهودية. وهذا لا يتم إلا بالتربية وعبر قوانين وضعية جديدة، لأنه لم يعد بإمكاننا أن نسير مع مدرسة بن لادن وعين الحلوة.

ولكن الأميركيين هم من وضع هؤلاء؟

لا يمكنك أن تقدم للعالم نموذجا قائما على ردة الفعل. الديموقراطية هي الحل.

الرئيس الحص تساءل عما يمنع العماد ميشال عون من المطالبة بحكم ذاتي للمسيحيين إذا حصل تفتيت للمنطقة؟

ما هذا الكلام؟! أنا لن أطلب بحكم ذاتي، إنما بحكم علماني لكل لبنان. وإذا كان <<قبضاي>> فليطالب بذلك. وإذا

كان يرفض ذلك، فهل يريد قانون عين الحلوة، أم قانون الأونيسكو. يكفي أنني الوحيد الذي لم أستغل ما حصل،

وأقول انني أريد أن أعيش، ضمن العصر، وهؤلاء لا يحق لهم إرجاعنا الى القرون الوسطى. ليقبل الرئيس الحص بقانون أحوال شخصية. الحص دائما يتهم غيره. إنه من المذهب القائل: دائما الحق على غيرنا.

إن من يعجز عن توحيد الأحوال الشخصية، كيف تراه سيوحد البلاد. لم نشاهد بلدا موحدا وقوانينه مختلفة. هذا أصبح عنادا. هل يمكن توحيد بلد بقوانين مفصلة على قياس ١٧ طائفة. فبدل أن يتحولوا لحص شيعيا، كما فعل حسين العويني ورياض الصلح، حتى يتمكن من أن يورث ابنته، ليعمل قانون إرث

اختياري. فالله لا يقبل الخديعة.

إذا كانوا يريدون الوقوف في وجهي، فهل أنا أملك الشعب. كل شيء يحتاج الى نقاش علني والى استفتاء. فف

فرنسا أنا مضطر للزواج مدنيا، ثم إذا أردت أذهب الى الكنيسة. لدي ٣ بنات تزوجن مدنيا ثم تزوجن كنسيا. هذا جزء من حرية المعتقد.

لماذا لا يتحدث الرئيس الحص معي، حتى يعرف إذا كنت أريد أن أطلب بحكم ذاتي؟ لماذا لا يتحدث معي ليحل هذا المشكل. فما الذي يمنعه من أن يفعل ذلك؟

الفاتيكان متخوف على مصير من تبقى من المسيحيين في الشرق كنتيجة للحرب على العراق، فماذا عنك؟

أنا أشاطره النظرة. فالمسيحيون ينتهون من دون حرب.

هل تخشى <<ترانسفير>> فلسطينيا؟

لا.

وهل تعتقد أن الجبهة اللبنانية يمكن أن تتحرك؟

لا أعرف. إنها غير مرهونة بطرف واحد. فالهدوء يحتاج الى طرفين.

هل يريد شارون وضعاً هادئاً؟

لا أعرف.

هل تعتبر أن تدابير الاحتياط المتخذة في لبنان كافية؟

لا توجد تدابير، لا قدرة لديهم على اتخاذ تدابير، فكلامهم أعلى من مستوى قدراتهم.

هل تعتقد أن ثمة فوضى بعد الحرب، في لبنان؟

هذا يعود الى اللبنانيين، إذا كانوا قادرين على الاجتماع. حتى الساعة، الارتباطات لا تبين أن اللبنانيين متماسكون، فأى خلل على المستوى السوري يحدث خلا على مستوى الحرب. فمن يتكلم مع من. وإذا اختلت الموازين الحالية، فماذا سيحدث. في هذه المرحلة يحتاج الشعب اللبناني الى الحكمة والتعقل، فإذا بقيت الأوضاع جيدة يحسنون أوضاعهم، وإذا ساءت يخفون من نتائجها السيئة. ولكن المهم هو أن يتجرأوا على الجلوس بعضهم مع البعض الآخر، من دون استئذان أحد.

هل ثمة مبادرات سورية تجاهك؟

لا. فهم يفضلون أن يخسروا الحرب لوحدهم، من دون أن يربحوها معي.

هل من كلمة أخيرة؟

لن أختتم بقول جديد، بل بكلام نشرته في ١٥/١٠/٢٠٠٢ تحت عنوان <<الاستحقاقات القادمة>>، جاء فيه:

بالإضافة الى الأهداف الأمنية المعلنة، هناك الأهداف السياسية والاقتصادية غير المعلنة، وتشكل الثقل الأكبر في القرار الأميركي. فالنفط ما زال المصدر الأول للطاقة، وهو الأقل كلفة من المصادر الأخرى، ويشكل حاجة حيوية لجميع الدول الصناعية بصورة خاصة، وللعالم أجمع بصورة عامة. وبالتالي فالدولة التي تسيطر على منابعه واحتياطه، هي التي تتحكم في إنتاج العالم، كلفة وحجماً (...). وإذا كانت الضرورات الأمنية تقضي بادئ الأمر بالقيام بأعمال عسكرية تؤدي الى السيطرة الميدانية، فإن إنجاز هذه المرحلة سيُتبع بتغيير سياسي، يحافظ على الأهداف الاقتصادية تحت عناوين الديمقراطية والتنمية.

في هذه الأجواء المحتملة، ماذا سيكون مصير الأنظمة التي تحيط بالعراق، فهل باستطاعتها البقاء على

ما هي عليه الآن؟ أم أنها ستتداعى وتقع في الفوضى؟ أو تلتحق بالنموذج الجديد؟

من المؤكد أنها ستكون شيئاً آخر.